مجلـــــة السعيد للعلـــــوم الإنســـانيـــة والتطبيقية
Al - Saeed Journal of Humanities and Applied Sciences
journal@alsaeeduni.net
Vol (5), No(3), September, 2022 المجلد(5)، العدد(3)، 2022م
ISSN: 2616 – 6305 (Print) ISSN: 2790-7554 (Online)

حجاجية الأسلوب البديعي: دراسة تطبيقية في سورة الواقعة

أ.د/ عبدالله محمد سعيد
أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة تعز- اليمن

أ/ خالد راشد علي حمود
باحث دكتوراه في اللسانيات قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة تعز
733558940aa@gamil.com

تاريخ تسليم البحث٢٠٢٢/٨/٢٨م تاريخ قبوله للنشر ٢٠٢٢/٨/٢١م

https://alsaeeduni.net/colleges/research-and-strategic/2017-03-10-08-03-59

حجاجية الأسلوب البديعي: دراسة تطبيقية في سورة الواقعة

أ.د/ عبدالله محمد سعيد
أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة تعز- اليمن

أ/ خالد راشد علي حمود
باحث دكتوراه في اللسانيات قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة تعز

ملخص البحث:

تنطلق هذه الدراسة من النظرية الحجاجية في تناول سورة الواقعة، بوصفها نموذجًا للخطاب القرآني، يأتي فيه فن التقسيم أسلوبًا بنائيًا يتأسس عليه الموقف الحجاجي بمختلف مكوناته اللغوية والبلاغية؛ لتتجلى فاعلية الأسلوب البديعي في حمل الأبعاد الحجاجية للنص القرآني، خلافًا لكثير من النصوص التي قد يأتي فيها البديع عائقًا أمام إنجاز الخطاب لوظيفته التأثيرية والإقناعية.

افتُتحت الدراسة بتمهيد يشرح تداولية الفنون البلاغية، لاسيما الفن البديعي، والخصوصية الحجاجية لسورة الواقعة في ارتكازها على التقسيم الثلاثي للمصائر المتعلقة بقضية البعث، والرباعي لمادة الخلق والوجود، ثم جرى تناول حجاجية الخطاب في هذه السورة، من خلال دراسة مبادئ الحجاج، وآلياته، وقوانينه، وأساليبه اللغوية والبديعية، والروابط الحجاجية، إذ كشفت الدراسة أنَّ ثمة قضية جوهرية واضحة في هذه السورة تعبر عن واقعيتها جمالية الصياغة في الألفاظ والتراكيب، ويأخذها التفريع/ التقسيم إلى مسار حجاجي توصل فيه المقدمات إلى النتائج، وتتأكد به صدق غايتها، وتتراوح الدلالة بين الإقناع والإمتاع، في تراتبية دقيقة تحكم الحجج التي عبرت عنها القدرة التأثيرية لعدد من الإمكانات البلاغية التي اقتضاها التقسيم، إلى جانب الروابط اللغوية التي أدت وظائف تواصلية إقناعية.

كلمات مفتاحية: التداولية، الحجاج، الأسلوب البديعي، التقسيم، سورة الواقعة.

Argumentativeness of Rhetorical Style as a Case study on Surat Al-Waqia

Prof. Abdullah Mohammed Said
Professor of Linguistics - Arabic Language Department.
Arts College - Taiz University –Yemen
Khaled Rashed Ali Hamood
PhD Researcher in Linguistics - Arabic Language Department.
Arts College - Taiz University

Abstract:

This study is underpinned by the argumentative theory in investigating Surat Al-Waqi'ah, as a model for the Qur'anic discourse, in which the art of division comes as a structural style that is based on the argumentative stance with its various linguistic and rhetorical components. The effectiveness of the Al-Badi'i style (rhetoric, figurative style) can be seen in carrying the argumentative dimensions of the Qur'anic text, unlike many texts in which this rhetoric style may come as an obstacle that prevents the discourse to carry out its influential and persuasive function.

The study starts with an introduction that explains the pragmatics of the rhetorical arts, especially the creative art, and the peculiarity of the argumentativeness of Surat al-Waqi'ah which relies on the tripartite division of destinies of resurrection, as well as the quadruple division of the matter of creation and existence through the argumentative principle leading to the findings. Eventually, the study revealed that there is a clear fundamental and semantic issue in this Quranic Surah that expresses its realism and aesthetic formulation in words and linguistic structures that govern the argumentativeness making use of the rhetorical possibilities to achieve a robust argumentative function.

Keywords: Pragmatics. Argumentative. Al-Badi'i. Rhetoric Style, Surat Al-Waqi'ah.

حجاجية الأسلوب البديعي: مدخل نظري:

عملت التداولية paragmatique منذ ظهورها على بلورة فكرة الحجاج وتأكيد علاقته بالبلاغة، ومنطلقها في ذلك أن ما تبلِّغه العلامات أو اللغة ليس مجرد مضمون، بل هو معنى تداولي وليد تفاعل الذوات المتخاطبة في مواقفَ معينةٍ ومختلفة، الأمر الذي يدفعُ إلى ضرورة النظر إلى اللغة والتعامل معها بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية (العاني، ٢٠١٤: ١٢)، فالتواصل إذن هو الحقل الذي يلتقي فيه الحجاج والتداولية، وذلك أنَّ الحجاج بما له من خصائص بنائية تواصلية براجماتية؛ هو خطاب يخضع لشروط القول والتلقي والمقام والرغبة في التأثير والفعل(الطلبة، ٢٠٠٨: ٥٩، ١٧٦).

إنَّ الخطاب الحجاجي سعيٌ إلى استثمار المتاح من الآليات اللسانية وغير اللسانية؛ بغية إحداث الإقناع والتأثير الذي ينشده المتكلم في موقف معين، وهذا هو جوهر العملية الحجاجية في رأي بيرلمان وتيتيكاه، فعندهما أن "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم"(صولة، ٢٠١١: ١٣)، في حين يبدو طه عبد الرحمن أكثر تركيزًا على موقع المتلقي في هذه العملية، فيعرف الحجاج بأنه "كل منطوق به موجهٌ إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها" (عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٢٢٦)، فكأنه بذلك يشير إلى تفاوت عمليات الإقناع تبعًا لتفاوت الحجج في القوة.

والواقع أنَّ نجاح الموقف الحجاجي يقتضي أن تكون المحاججة استراتيجية شاملة في التواصل تتضمن الترتيب والترابط، فأغلب دارسي الحجاج يتفقون على أنه "فعلٌ لغوي إنجازي، يحكم نسق الخطاب، وهو استراتيجية يتبعها منشئ الخطاب في ترتيب أقواله بأجزائها؛ خدمة لقصده من إنشاء الخطاب، ويستثمرها المتلقي في إدراك الأقوال وفهمها" (الرفاعي، ٢٠١٩: ٤)، وهذا يعني أنَّ أسلوب الاحتجاج وطريقة عرض الحجج لها أثرها الكبير في إيصال المرسل إلى تحقيق مراميه الحجاجية، خصوصًا أنَّ فعالية الحجاج ليست فقط في كونه مجرد وسيلة من وسائل الإقناع، وإنما في كونه أداةً يتوسل بها المرسل للتأثير على المتلقي وتغيير سلوكه، يؤكد ذلك صابر الحباشة (٢٠٠٨: ٥٠). بقوله: إنَّ "من مصلحة الخطاب الحجاجي أنْ يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس".

من هنا، فقد اهتمت كثيرٌ من الدراسات الحجاجية بالكشف عن البعد الحجاجي في الفنون البلاغية، التي لم تعد مجرد أدوات تزينية، بل أساليب "تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية" (الحباشة، ٢٠٠٨: ٥٠)، فالمحسِّن البياني أو البديعي، في رأي الشهري (٢٠٠٤م: ٤٩٨) يؤدي "دورًا حجاجيًا لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد"، وإذا "لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب؛ فإنَّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة؛ أي باعتباره

محسِّن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع" (الحباشة، ٢٠٠٨: ٥١)، فالمقياس إذن هو تأثير هذا الأسلوب أو ذاك، ولهذا يرى بيرلمان أن الأشكال الأسلوبية تكون "ذات قيمة حجاجية، إذا أحدثت تغييرًا في الرؤية، وكذلك إذا بدا استعمالها طبيعيًا في ذلك الموقف، أمَّا إذا لم يحقق الكلام إذعان المرسل إليه لهذا الشكل الحجاجي؛ فإن الصورة تعد من قبيل الزخرف"(الشهري، ٢٠٠٤: ٤٩٩).

يقول طه عبدالرحمن (١٩٨٧: ١٨): "إذا أدركنا أنَّ الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي تقوم على عمليات التفريق والإثبات والإلحاق، وأنَّ هذه الآليات الحجاجية هدفها الإفهام؛ تبيّنا أنَّ أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعًا للتحسين والبديع، وإنما هي أصلًا أساليب للإبلاغ والتبليغ"، كما هو شأن القرآن في استعماله لكثير من الإمكانات البلاغية، فهو خطاب غايته التأثير في المتلقي وسلوكه، وتوجيه العقول واستمالة النفوس، ولأجل ذلك يوظّف الكثير من الآليات والأساليب، بما في ذلك المحسنات البديعية التي يرى بعض الدارسين أنَّ ملازمة التكلف لها في كثير من الخطابات أمر يتنافى مع غايتها الإقناعية (العمري، ٢٠٠٢: ١١٣)، في حين نجد أنَّ "استعمال القرآن لهذا الفن البلاغي في الكشف عن الأنماط الفكرية إنما ينمُّ عن إعجاز بليغ لا يظهر إلا للإذعان والتأثير في النفوس واستمالتها بالصناعة الصوتية التي توازن الكلام مع الحجة" (الياسري؛ وعباس، ٢٠٢٠: ٧٧).

لنتأمل في أسلوب التقسم بوصفه فنًا بديعيًا يقصد به ذكر شيء ذي أجزاء، ثم إضافة أوصاف إلى كل جزء مما يناسبه، "فالمرسل يطرح قضية كلية، ثم يقوم بتفصيل هذه القضية عن طريق أجزائها التي هي مجموعة من الحجج، وكل واحدة منها تدعم هذه القضية في ذكرها الكلي، وعلى وفق ذلك نستنتج أن القضية الكلية هي نتيجة، وما يتفرع عنها من حجج تثبيتها هي أسباب لها، إذ لابد أن تكون القضية عالية الأهمية، لكي يجري إثباتها عن طريق أجزائها أو تفصيلاتها" (صادق، ٢٠١٥: ٢٠٢).

إنَّ المرسل حين يحرص على استيفاء الأجزاء لتبيين المعنى وتأكيده؛ يعتمد على "ما يسمى بالبرهان ذي الحدين (dilemma)، وهو كما يعرفه بيرلمان شكل من أشكال الحجج يتناول فرضيتين ليستنتج أنه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصل إلى الفكرة ذاتها أو الموقف ذاته" (الدريدي، ٢٠١١: ٢٠٩)، فالتقسيم هنا "يصبح بمثابة الأجوبة عن أسئلة تثار في ذهن المتلقي عند تلقيه الخطاب، موجهةً إياه إلى الإذعان والتسليم أو التأمل للقضية المطروحة بشكلٍ كلي"(صادق، ٢٠١٥: ٢٠٢)، والأهم من ذلك أنَّ استعمال القرآن لأسلوب التقسيم يأتي أكثر دلالية وخصوصية، إذ تجده بناءً ينتظم الدلالات، وتُبنى عليه المعاني الكبرى التي يحتج لها القرآن، وفي إطار هذا البناء تتضافر كثير من الأدوات الفنية لتحقيق الإقناع والتأثير، ومن هنا يأتي منطلقنا البحثي.

فالتقسيم، في منظور هذه الدراسة، أسلوب بنائي في الخطاب القرآني، تتجلى فاعليته الحجاجية من خلال ما يحققه من تقابلات وتمايزات لها تأثيرها على بنية الإقناع في الخطاب، وتوليد دلالته الكلية، لاسيما أنَّ التقابل "وجه من وجوه البلاغة البرهانية البديعية التي تدعم طاقة القول الحجاجية، وتزيد من قدرته الإقناعية"(حشاني، ٢٠١٤: ٣٠٠)، ولعل أكثر ما تتجلى فاعلية هذا التقسيم التقابلي في سورة الواقعة.

فهذه السورة يتأسس فيها الموقف الحجاجي على إثبات البعث الذي يجحد به أهل الشرك، من خلال عرض الجزء الأول من السورة لثلاثة مصائر يؤول إليها الناس يوم القيامة (أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون)، جرى التمهيد لذكرها في وصف الواقعة/القيامة بأنها (خافضة رافعة)، وهي بذلك تتميز عن غيرها من السور التي تعرض مشاهد القيامة من خلال فريقين فقط (قطب، ٢٠٠٣: ٣٤٦٣/٦)، ثم يتصاعد مسار الاحتجاج في وسط هذه السورة إلى إثبات القدرة على الخلق من خلال فاعلية التقسيم التقابلي لأسباب الوجود وأسرار التكوين (المني، الزرع، الماء، النار)، بحيث يترتب على التصديق بها التصديق بقضية البعث، ثم ينتهي الاحتجاج في آخرها إلى أقوى مستوياته، بعرض مشهد الاحتضار، ومن ثم إعادة تلك المصائر الثلاثة إلى الواجهة من جديد؛ ليلزم عنها التسليم والإذعان لصوت الحقيقة.

منهج الدراسة:

بما أن أسلوب التقسيم يغدو في هذه السورة إطارًا دلاليًا لبنية الإقناع؛ فهو إذن بحد ذاته خطاب حجاجي ينطوي على كثير من القضايا والأساليب والروابط والحجج والصور التي تؤدي جميعها مهمة التأثير وإقناع المخاطب، والمنهج المعتمد في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي لأسلوب التقسيم في سورة الواقعة.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على دراسة تتكون من (١٣ صفحة مع قائمة المصادر والمراجع)، أجراها روادي إبراهيم بعنوان: الحجاج في سورة الواقعة، منشورة في مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عمار ثليجي، الجزائر، العدد ٣، سبتمبر ٢٠١٣م، ومع أنها أول دراسة مستقلة لقضية الحجاج في سورة الواقعة؛ إلا أن ما قدَّمه الباحث يبدو غير كافٍ في إعطاء هذه السورة حقها، وهو في ذلك معذورٌ، فقد صرَّح في بداية بحثه أنه سيتناول هذا الموضوع باقتضاب، مقتصرًا على بعض القضايا، مثل مصطلح الحجاج، وأوجه التلّاقي والاختلاف بينه وبين البرهان والدليل، إلى جانب البحث في أساليب الحجاج الواردة في السورة، وخصائصه، ويبدو لنا أن ما قدّمته هذه الدراسة قريبٌ إلى طريقة بعض المفسرين المحدثين في التركيز على التصوير العام، لاسيما أنه اختتم بتقديم اعتذاره عن عدم التعمق والاستيفاء، ولكن حسبه – كما أوضح – أنه أثار تساؤلًا وفتح بابًا لإضافة جديد.

أسئلة الدراسة:

تأتي أهمية فحص المكونات الحجاجية في السورة، وتتبع تحولات الموقف الحجاجي فيها للإجابة عن الأسئلة التالية:

ما مبادئ الحجاج في سورة الواقعة؟

ما آليات الحجاج في سورة الواقعة؟

ما قوانين السلم الحجاجي في سورة الواقعة؟

ما الأساليب الحجاجية في سورة الواقعة؟

ما الروابط الحجاجية في سورة الواقعة؟

تقتضي الإجابة عن ذلك تقسيم الدراسة إلى خمسة محاور، على النحو التالي:

المحور الأول: مبادئ الحجاج:

المبدأ الأول: القضية:

يتضح بالنظر في سورة الواقعة أنَّ ثمة قضية جوهرية واضحة تعبر عن واقعيتها جمالية الصياغة في الألفاظ والتراكيب، ويأخذها أسلوب التفريع/ التقسيم إلى مسار حجاجي توصل فيه المقدمات إلى النتائج، وتتأكد به صدق غايتها، وتتراوح الدلالة بين الإقناع والإمتاع، وبحسب رؤية بيرلمان فإن قضية الحجاج في هذه السورة تتمظهر من خلال الملامح التالية:

١- **التوجه إلى مستمع (مخاطب):** بتتبع آيات سورة الواقعة نجد أنَّ المخاطبين أنواع، وهم:

النوع الأول: نوع مذكور داخل النص القرآني، إما باسمه أو لقبه، وهم منكرو البعث، وقد سُمّوا (الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ)، وإما يُذكر بضمير الخطاب الذي ينوب عنه، وقد توالت مجموعة من الضمائر المتصلة في تحديد المخاطب، منها: (كم) التي جاءت متصلة بهذه الألفاظ: (إِنَّكُمْ/ خَلَقْنَاكُمْ/ أَمْثَالَكُمْ/ وَننْشِئَكُمْ/ مِنْكُمْ)، وواو الجماعة في عدة أفعال (تُصَدِّقُونَ/ تُمْنُونَ/ تَخْلُقُونَـهُ/ تَحْرُثُونَ/ تزْرَعُونَـهُ/ تَشْرَبُونَ/ أَنزَلْتُمُوهُ/ تُورُونَ/ وَتَجْعَلُونَ/ تُكَذِّبُونَ)، و(تُم) في: (وكنتم/ أفرَأَيتُمْ/ أَنزَلْتُمُوهُ/ أَنْشَأْتُم)، وفي حالة واحدة جاء منفصلًا (أنتم)، والسؤال هنا: لمن يتوجه هذا الخطاب؟ يرى بعض المفسرين أنه موجه إلى أهل مكة، والظاهر أنه خطاب عام مع كل ضال مكذب (الرازي، ١٤٢٠: ٢٩/٤١٦).

كما جاء الخطاب في آخر السورة مع الرسول محمدﷺ: {فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}، وفي هذا الالتفات تأكيد لواقعية القضية؛ لأن الرسول الكريم بدعوته يمثل طرف الحق الذي يقف في مواجهة الكفار وكشف زيف ادعاءاتهم، ومع حسم القرآن لهذا الموقف الحجاجي بأقوى الحجج الداحضة {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ}، جاء هذا الالتفات في الخطاب إلى النبي الكريم لتسليته بأنَّ الغلبة لما هو عليه من الحق، وأنَّ أباطيلهم ضعيفة مفضوحة، وبعد الموت حين يذهب المكذبون برسالتك إلى ما ينتظرهم من العذاب {فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}؛ فإن أصحاب اليمين يذهبون إلى ما ينتظرهم من النعيم (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) جزاء تصديقهم لك، وهم يسلمون عليك {فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ}، أو في رأي بعض المفسرين: "أنَّ أصحاب الْيمِين يدعون لك يا محمد بأن يصلي الله عليك ويسلّم" (القرطبي، ٢٠٠٣: ٢٣٣/١٧)، ولهذا يأمر الله نبيه مرتين بالتسبيح حمدًا له شكرًا (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ).

ويقتضي المقام أن يكون قوله تعالى: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً} خطاباً مع الموجودين وقت التنزيل، فهم طرف الحق في هذه القضية، وفي تأييد الله لنبيه تأييد لهم، وهم هنا صنفان من ثلاثة أصناف (أصحاب الميمنة والسابقون)، وكأنَّ هذا التقسيم الثلاثي ما جاء إلا ليثبّت يقينهم بصدق ما وعدهم الله به، وأنه على قدر التقوى والصبر يكون الأجر، وليعلم أهل الكفر أن التكذيب وإنكار البعث شذوذٌ عن الفطرة السوية مهما كثر عددهم.

النوع الثاني: المخاطب خارج النص القرآني غير مذكور، ولكنه معني بخطاب القرآن، وهو جمهور السامعين والمتلقين، على اختلاف عصورهم وأمكنتهم؛ لأنَّ الخطاب القرآني، كما يرى الزركشي، خطاب تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف (الزركشي، ٢٠٠٠: ٢٤٧/٢– ٢٥٣). وسورة الواقعة فضلًا عن كونها خطابًا موجهًا إلى متلقٍ فعلي أو محتمل، فهي مسرح عليه تتحاور الذوات وتتجادل، ويحاجّ بعضها بعضًا، وفيه تتسع بصورة لافتة حكاية المنكرين على اختلاف أنواعهم، ولذلك اشتملت على جميع البراهين والأدلة التي لا يقدرون على معارضتها، ولا على توهين حجتها (صولة، ٢٠٠٧: ٤٢).

٢– **أن يعبر عنها بلغة طبيعية:** فإقامة الحجج ونصب الدلائل؛ ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وينتظم في سلك المؤمنين من ليس منهم، ولا يقوم بهذا العبء جملة واحدة، ولا مجموعة من الجمل، وإنما تنهض به حقيقة خطابية هي النص (عبد الرحمن، ١٩٩٤: ١٤)، فهذه السورة خطاب كريمٌ، يزخر بأروع الأساليب التي وظفت لخدمة الغرض العام للسورة، وتلوّن فيها الخطاب، بين ما هو موجه إلى المؤمنين؛ لتثبيتهم على الحق، وبين ما هو موجه إلى الكفار؛ لتحذيرهم من سوء المنقلب، علَّهم يرجعون عن تماديهم في الغي والضلال (إبراهيم، ٢٠١٣: ١٢٨).

٣– **لا تعدو أن تكون احتمالية:** نجد ذلك في أنَّ في قضية إنكار البعث عمادها طرفان، أحدهما: منكر وجاحد، والآخر: صاحب حق يذكر ويبرهن.

٤– **ليست نتائجها ملزمة:** فعلى الرغم من أنَّ القضية اعتمدت على مجموعة من الأدلة والبراهين؛ كي يعود الضالون إلى صوابهم؛ فإنَّ ذلك لا يقتضي إكراههم على التصديق {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}.

المبدأ الثاني: الفرضية:

تمثل الفرضية المبدأ الثاني من مبادئ الحجاج، وهي افتراضٌ على سبيل الجدل، "والتسليم القوي بها في إطار الخطاب لا يكون كذلك ما لم يشفّع بأدلةٍ وأنساق برهانية

تدعمها" (الطلبة، ٢٠٠٨: ١١٢)، كأن يستخدمُ المحاجِجُ افتراض وقوع الأمر المحال لإثبات ما بعده، فإذا ثبتَ ما بعده صحَّت دعوى الإحالة للأمر المفترض وقوعه (علي، ٢٠١٦: ٢٠٩)، والفرضية تحظى "بالموافقة العامّة، ولكنَّ الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما"(صولة، ٢٠١١: ٢٥).

من الفرضيات التي حملها منكرو البعث/ أصحاب المشأمة؛ أنهم {كَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}، فقد أرادوا تكذيب من يخبر عن البعث، فأتت الفرضية على طريقة الاستفهام الإنكاري، وهي معتقدات مقررة لصحة إنكارهم؛ لكنها للطرف المقابل فرضية، وتحتاج إلى أدلة قوية، فطُرحت للنقاش في السياق القرآني، فقالوا أولاً: إن الموت انقطاع أبدي عن الحياة: {أَءِذَا مِتْنَا}، ثم قدموا حجة أخرى، وهي أنَّ الأجساد تتحلل إلى تراب وبقايا عظام: {وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَٰماً}؛ ولم يكتفوا بذلك، بل جاؤوا بما يرونه أبعد وأكثر استحالة، وهو بعث الأجيال والأمم الغابرة {أَوَءَابَاؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ}، ليقولوا: فهل بعد هذه الحجج يحق لعاقل أن يتكلم عن البعث؟

عرض القرآن افتراضهم هذا معززًا بحججهم وذرائعهم التي يسوغون بها كفرهم، ثم مضى يفنِّد هذا الافتراض ويكشف زيف حججهم بقوله: {قل إِنَّ ٱلأَوَّلِينَ وَٱلآخِرِينَ} "بتقديم الأولين على الآخرين في جواب قولهم: {أَوَءَابَاؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ}، فإنهم أخّروا ذكر الآباء لكون الاستبعاد فيهم أكثر، فقال: إنّ الأولين الذين تستبعدون بعثهم؛ سيبعثهم الله في أمر مقدم على الآخرين، إظهارًا في إثبات حال من أخرتموه مستبعدين، وإشارة إلى كون الأمر هينًا، وزيادةً في تقوية الحجة، ولم يكتفِ بذكر البعثِ فقط، فقال: {لَمَجْمُوعُونَ}؛ أي أنَّ البعث واقع مع أمر زائد، وهو أنهم يحشرون ويجمعون في عرصة الحساب، وهذا فوق البعث، ثم إنه تعالى بقدرته يحركه بأسرع حركة، ويجمعه بأقوى سير، وفي وقت واحد أعجب من البعث نفسه" (الرازي، ١٤٢٠: ٢٩/٤١٥).

هذه الفرضية وإن جاء الإخبار عنها في وسط السورة، تظل تصورًا أساسيًا ارتكز عليه الموقف الحجاجي ومساره التقسيمي، الذي جرى من خلاله عرض مشاهد البعث والإحياء باتجاهاتها الثلاثة التي ابتدأت بها السورة واختتمت.

المبدأ الثالث: الترجيح

يتفق المعنى اللغوي والاصطلاحي في كون الترجيح تقوية أحد الدليلين بوجهٍ معتبر، أو تقوية أحد المتعارضَين، أو تغليب أحد المتقابلين (المناوي، ١٤١: ١٧٠)، أو بيان اختصاص الدليل بمزيد قوة عن مقابله ليُعمل بالأقوى (الزركشي، ٢٠٠٠: ٤/٤٢٥).

وبما أنَّ أحد معاني الحجاج البحث من أجل ترجيح خيار من خيارات متاحة ومتعددة، بما يناسب السياق، ويحقق المأمول (رزقي، ٢٠١٧: ٦)؛ فإنَّ "البحث الحجاجي يقوم على الاختلاف والتنازع والحوارية التي تقتضي وجود مساحة من الاختلاف تسمح بالتناظر، فالمتكلم لا يعرض أمورًا مسلمًا بها، أو أمورًا بديهية لا تستدعي نقاشًا، وإنما يقدم أمورًا احتمالية" (شنيار، ٢٠١٩: ٤).

والوظيفة الحجاجية من الترجيح هي اقتران الأمارة بما تقوى به على ما يعارضها؛ كون الترجيح في الأدلة الظنية، وبما يوجب الاتكاء عليه في الحجاج، والعمل به وإهمال الآخر، فيقترن الرأي بما يقويه، ويكون الاقتران وصفًا للدليل (الآمدي، ١٤٠٤: ٢٤٩/٤)؛ إذ إن "الصور البيانية والحيل المجازية واللغوية وحدها لا تحقق التصديق والتدليل، ما لم تستند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقليًّا" (رزقي، ٢٠١٧: ٥٨).

قال تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ}. كأن الجملة فيها تقديم وتأخير، وأصل تركيبها: فإذا كنتم صادقين في أنكم غير مدينين فهلّا حاولتم عند كل محتضر إذا بلغت الروح الحلقوم أن ترجعوها إلى مواقعها من أجزاء جسده.

إن الخطاب الحكيم يعرض هنا مشهد النهاية التي لابد أنْ تدرك كل حي، مما يرجح الأدلة السابقة، فجاءت الآية إنشاءً طلبيًا معلقًا بالشرط {فلولا إن كنتم غير مدينين (٨) ترجعونها إن كنتم صادقين}، والمعنى كما يقول (الزمخشري، ١٩٩٨: ٣٩/٦): "إنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء، إن أنزل عليكم معجزًا، قلتم: (سحر وافتراء)، وإنْ أرسل إليكم رسولًا، قلتم: (ساحر كذاب)، وإنْ رزقكم مطرًا يحييكم به، قلتم: (صدق نوء كذا)، فمالكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم، إنْ لم يكن ثَمّ قابض، وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم"، فحالة النزع التي لا يمكن إنكارها، وقوله: {وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ} تأكيد لبيان عجزهم، وضعف موقفهم، وترجيح وتأكيدٌ لقوة الحجة والأدلة القائلة بأنَّ الله له القدرة المطلقة في الخلق والبعث والنشور، والإحياء والإماتة، فالأمور مرئية مشاهدة، ينظر إليها كل من بلغ إلى تلك الحالة أو من شهدها، فإنْ كان ما أنكرتم حقاً فأثبتوا صدق دعواكم، وهنا لا يمكنهم الإتيان بما يجب عليهم، فتأتي النتيجة بحثّهم على تجديد النظر في طلب الحق؛ حتى يتضح لهم ضعف أدلتهم، وقوة الحجة المضادة.

المبدأ الرابع: الإقناع

الإقناع أحد مبادئ الحجاج التي لا بدّ أنْ تميز المتكلم أو الملقي للخطاب من مَلَكَةٍ هَدفُها إقناع السامع أو إفحامه، ولا يتحقق الإقناع والإفحام إلّا إذا كان السامع لا يقبل المسلمات والمقدمات لمجرد سماعها، بل يمتلكُ عقلًا متوقدًا يستفسرُ ويسأل ليقنع آخر، أو كان المتكلم يمتلك ناصية الإقناع في الكلام، وطرق الإفحام، "وبحسب التقنيات المستعملة، فلإقناع سامعٍ مخصوصٍ تُستعمل آليات لا تصلح لإقناع جمهورٍ كوني، ويتَّسم الحجاجُ بالعقلاني لكونه قادرًا على إقناع جمهورٍ كوني" (الحباشة، ٢٠٠٨: ٧٠).

كما أن بيرلمان في تعريفه للحجاج جعل الاقتناع ثمرة الإقناع الذي يمارسه الخطيب على جمهوره، فقال: "الحجاج هو حملُ المتلقي على الاقتناع فيما نعرضه عليه، والزيادة في هذا الاقتناع" (الدريدي، ٢٠١١: ٢١)، وفي رأي أوستين فريلي فإنَّ الحجاج والإقناع جُزآن من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلَّا في التوكيد، ويولي الحجاج الدعاوى المنطقية أهميةً

خاصةً، ولكنه يجعل من اختصاصه الدعاوى الأخلاقية والعاطفية، أمَّا الإقناع فإنه ينعكس على التوكيد الذي يبطل ضده (العبد، ٢٠٠٢: ٤٥)، وأيًا كان الأمر فالمهم أنَّ الإقناع هو الغاية من وراء تقنيات الحجاج جميعها، فهو يعد النتيجة التي يسعى الخطيب لإقناع جمهوره بها، أو التأثير فيه، لكن إيراده ضمن هذه الخطوط الأساسية يحدد موقع الاشتغال النقدي في النظريات الحجاجية.

وقد تضمنت بنائية التقسيم في سورة الواقعة مجموعة من وسائل الإقناع، مثل: التوكيد والقسم والاستفهامِ والشرط والتنويع في الخطاب بين الخبر والإنشاء، إلى جانب التنويع في الحجج والبراهين، والترغيب والترهيب، والوصف، والاشتقاق، والسجع المرصع، والمطابقة، وغير ذلك من الأدوات والآليات المستعملة لإقناع المخاطب، مما سيجري إيضاحه، كلٌ في مكانه.

المحور الثاني: آليات الحجاج

الأول: القياس

يعدُّ القياسُ أبرزَ وسيلة حجاجية استعيرت من الأصوليين والفلاسفة، وهو وسيلة من وسائل الإقناع في النص الحجاجي العربي، وأحد الوسائل المنطقية (عبد الرحمن، ٢٠٠٠م: ٩٨)، والقياس لغةً: التشبيه والتمثيل، ولا يجب القياس إلَّا عنْ قولٍ متقدم، فيكون القياس نتيجة ذلك، ويكون له مقدمة أو مقدمتان أو أكثر، على قدر ما يتجه من إفهام المخاطب، ولا يجب القياس عند المناطقة إلَّا عن مُقدمتين لإحداهما بالأخرى تعلق (ابن وهب، ١٩٦٩: ٧٦-٧٨).

ففي قوله تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢)} نجد أن هذه الآيات تتضمن قياس النشأة الأخرى بالنشأة الأولى، فالخطاب القرآني يجعلهم جهالًا حين تركوا قياس النشأة الأخرى على الأولى. وقوله: {فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ} تحضيض على التصديق، فكأنهم مكذبون بالخلق والبعث على السواء، والقياس هو: من خَلَقَ أولًا لم يمتنع عليه أنْ يَخلُقَ ثانيًا (الزمخشري، ١٩٩٨: ٣٦/٦)، والقياس أيضًا: مَن جَهِل النشأة الأولى لن يُؤمن بالنشأة الثانية.

الثاني: التمثيل:

يعتمد الاستدلال بالتمثيل على "تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد حقيقةٍ أو إثباتها عن طريق تشابه في العلاقات" (ابن المهدي، ٢٠٢٠: ٨٧). وهو ما يجعله مشمولًا بأساليب التشبيه التمثيلي المعروف أو الاستعارة، وقد "أكد الدارسون أنّه يعسُر على المرء أنْ يتصور إمكان ورود دليلٍ مُضادٍ بعد تشبيهٍ أو استعارةٍ يخدم النتيجة المعاكسة، أمَّا الأقوال العادية فيمكن بيُسرٍ إحلالها في سياقات الإبطال أو التعارض الحجاجي" (الدريدي، ٢٠١١: ٧٤).

والتمثيل بوصفه نوعًا من الحجاج هو التشبيه والاستعارة بكل أنواعهما، وهذا النوع من الحجاج هو الأنسب للتواصل اللغوي وللمتلقي، يقول طه عبد الرحمن (١٩٩٨: ٢٣٢-٢٣٣): "لا يخفى على ذي بصيرة أنَّ نموذج الحجاج هو قياس التمثيل، إذ المعروف أنَّه هو الاستدلال الذي يختص بالخطاب الطبيعي في مقابل البرهان الذي هو الاستدلال الذي يختص بالقول الصناعي، ومعروف أيضًا أن العلاقة التي يتحدد بها قياس التمثيل هي بالذات علاقة المشابهة، فيكون ما يتميز به نموذج الحجاج هو عينه ما يتميز به نموذج المجاز".

ففي قوله تعالى: {كأمثال اللؤلؤ المكنون} تشبيه مرسل مجمل، ووجه الشبه محذوف وهو الصون، وقوله: {وفُرش مرفوعة} إن فُسِّرتِ الفُرش بأنها جمع فراش كان معناها على حقيقته؛ أي: مرفوعة على السرر، وإن أريد بها النساء كانت كناية عن موصوف، والعرب تسمي المرأة فراشًا ولباسًا، ويدل على هذا التأويل قوله: {إنّا أنشأناهنّ إنشاء}، وفي قوله: {عربا أترابا} كناية أيضا عن عودتهنّ أو نشأتهنّ في سنّ صغيرة (البغوي، ١٩٩٧م: ١٣/٨).

وفي قوله: {لا بارد ولا كريم} فن الاحتراس، فلما قال تعالى: {وظل من يحموم} أوهم أنَّ الظل ربما جلب لهم شيئًا من الراحة بعد التعب، ففنى عنه صفتي البرودة والرَّوْح، يريد أنه ظل ولكن ليس كسائر الظِّلال التي يستطيبها الإنسان، وتجلب النفع لمن يأوي إليها؛ فهو إذن {لا بارد ولا كريم}، أي أنه ظل لا يمكن الاسترواح فيه، ومن ثم فهو نوع من العذاب. وفي الآية: {هذا نزلهم يوم الدين} فن التهكم، فقد سمّى الجحيم وما فيه من صنوف العذاب وضروب الأهوال نُزلًا؛ تهكمًا بهم؛ لأن النُّزل ما يُعدّ للنازل تكرمةً له (الفاسي،٢٠٠٢: ٢٩٥/٧).

وفي قوله: {فلولا إذا بلغت الحلقوم} استعارة مكنية، كأنما الروح شيء مجسمٌ يبلغ الحلقوم في حركة محسوسة، وهذه الصورة الواقعية تحسم الموقف الحجاجي بما فيها من المصداقية والغوص في حقيقة الحياة؛ لأنها إذا لم تحمل الجاحد على التسليم والإذعان؛ فإنها تظل بالغة التأثير في أعماقه، مادام الإنسان من طبعه أنْ يظل مشغولًا بحقيقة الحياة والفناء والمصير المحتوم.

كل هذه الأنماط التمثيلية آليات حجاجية اعتمد عليها الخطاب القرآني في تقريب الفكرة إلى الأذهان، لدى عرضه حقائق البعث وكأنهم يرونها رأي العين، فمضى بالتمثيل يصور حال الفريقين، مفرقًا بين ما سيلاقيه أصحاب اليمين من التكريم والإنعام، وبين ما سيلاقيه أصحاب المشأمة من الإهانة والخسران.

الثالث: التعليل

التعليلُ نشاط عقلي يميل إليه الإنسان؛ لكون المعرفة بحاجة إلى نزعة تبريرية غايتها التعليل والتسويغ والاستنباط، على نحوٍ يجعل الجمهور أمام خيارات وبدائل متاحة؛ لمعرفة الأسباب الكامنة وراء أية ظاهرة مهما يكن نوعها، فيبحث عن تفسيرها بإخضاعها لأحكام يراها منطقية، إضافةً إلى كونه ركنًا من أركان البحث في العلوم، مما ساعد في شرح كثير من المعضلات وإيجاد الحلول لها (شمس الدين، ١٩٩٤: ٧).

والتعليل بوصفه أحد آليات الحجاج للمرسل، يستعمله في تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج، وتقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب مع السياق (الشهري، ٢٠٠٤: ٤٧٧)، وقيمة التعليل في الحجاج أنه يقدم الفكرة ويبيّن سببها، "والنفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها" (السيوطي، ١٩٧٤: ٣/٢٥٥).

ففي قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}: أتت الجملة الاسمية تعليلًا للحجة؛ أي: تعليل مُجازاتهم بما ذُكر من العذاب؛ وهو تعليل يزيل توهم الظلم في تعذيبهم، وهو أيضًا تحذير من هذه الأفكار المارقة التي تكون عاقبتها الخسران والخزي والعذاب.

وفي قوله تعالى: {نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَمَتاعًا لِلْمُقْوِينَ}: الجملة الاسمية تعليلية، تبيينٌ لمنافع النار؛ أي جعلناها تذكيرًا بنار جهنم، حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها، ويتذكروا بها ما أوعدوا به، أو جعلناها تذكرة وأنموذجاً من جهنم (حوّى، ١٤٢٤: ١٠/٥٦٩٨).

المحور الثالث: قوانين السلَّم الحجاجي

أشار ديكرو إلى أنَّ كثيرًا من الأفعال القولية لها وظيفة حجاجية؛ لأنها توجه المتلقي للاتجاه لنتيجة معينة، أو لتغيير وجهته عن طريق الحجة، كما أنَّه تنبّه للتفاوت في درجات القوة والضعف في نظام الحجج، فالحجج عنده لا بد أنْ تأتي في نظام معين، أسماه السلم الحجاجي(ختام، ٢٠١٦: ١٤٨)، وهي "علاقة التراتبية للحجج، ويمكن أنْ يرمز لها كالتالي: (ن) النتيجة، و(د، ج، ب) أدلة تخدم النتيجة (ن)، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي حينئذٍ إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة"(العزاوي، ٢٠٠٦: ٢٠-٢١).

ومن أهم خصائص السُّلَّم الحجاجي عند ديكرو أن كل ملفوظ يرد فيه يكون الملفوظ الذي قبله أو يعلوه أقوى منه، كما أن كل ملفوظ في السلم يؤدي إلى نتيجة معينة؛ فإنه يستلزم أنَّ ما يعلوه يؤدي إلى النتيجة نفسها (العزاوي، ٢٠٠٦: ١٤٨-١٤٩)، وأهم قوانين هذا السُّلَّم التي تتناولها الدراسة:

القانون الأول: قانون النفي

يقصد به أنَّ الملفوظ إذا كان حُجةً لخدمة النتيجة؛ فإنَّ نفيه حجة لدعم نقيض النتيجة (العزاوي، ٢٠٠٦: ١٥٠)، فقوله تعالى: {هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} نتيجة لقوله: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}، ونفيُها هو أنَّ عدمَ قولهم ذلك سيقود إلى عدمِ دخولهم النار.

(ن) نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (دخولهم النار)	(نَ) عدم دخولهم النار
ح) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ	(جَ) قبول الحق

القانون الثاني: قانون القلب

معناه أنَّ الملفوظ الأول إذا كان أقوى من الثاني في الوصول للنتيجة في السُّلَّم الحجاجي؛ فإنَّ نقيض الملفوظ الثاني أقوى في التراتبية من الأول في الوصول لنقيض النتيجة (العزاوي، ٢٠٠٦: ١٤٩-١٥٠)؛ أي "إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة"(العزاوي، ٢٠٠٦: ٢٢).

قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}.

يتضح قانون القلب هنا في أنَّ النتيجة {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} نالوا العذاب (فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ)، الحجة الأولى: التكبر والغرور {كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}، والحجة الثانية: (التكذيب) الإصرار والحنث {يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}، والحجة الثالثة: التلفظ {يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}، وأثناء تطبيق قانون القلب تصبح التراتبية كالآتي: لن يكونوا من أصحاب الشمال؛ لعدم التلفظ، وعدم الإصرار والحنث، وعدم التكبر والغرور، فبالتالي نجد أنَّ الحجة الأقوى أصبحت أقل قوة وتراتبية عند قلب المعنى الحجاجي ونفيه.

(ن) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ	(~ن) لن يكونوا من أصحاب الشمال
ح١) التكبر والغرور {كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}	~ح١) عدم التكبر والغرور
ح٢) الإصرار والحنث {يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}	~ح٢) عدم الإصرار والحنث
ح٣) التلفظ والقول {يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}	~ح٣) عدم القول والتلفظ

القانون الثالث: قانون الخفض

يشير هذا القانون إلى أنَّ النفي اللغوي يدل على معنى (أقل من)، ويتيح هذا القانون تفسير بعض استعمالات التورية/ المجاز في الملفوظات المنفية، حيث يجري تلطيف القوة الدلالية للملفوظ المنفي، ويستخدم هذا القانون للخفض من أثر المعنى وتلطيفه في الحجة (ختام، ٢٠١٦: ١٥٠).

قال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)}.

فهذا تذييل لجميع ما اشتملت عليه السورة من المعاني المثبتة في الأقسام الثلاثة، والمعنى: أن الذي قصصنا عليك في هذه السورة هو حقُّ اليقين، واشتمل هذا التذييل على أربعة مؤكدات وهي: (إن)، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين. ثم ينخفض الحجاج بتوجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، بأن يؤمر بتسبيح الله؛ لأنه العظيم الذي يستحق التسبيح.

(ن) في هذه السورة هو حقُّ اليقين.

(ح ق) تسبيح الله؛ لأنه العظيم الذي يستحق التسبيح.

المحور الرابع: أساليب الحجاج

يتضمن الخطاب الحجاجي عدة أساليب تتميز بأنها تنضوي تحت هدفٍ معقلن، وتؤدي دور البرهنة، وهي بذلك تختلف عن الأساليب والأشكال الأخرى التي تندرج ضمن هدف وصفي حكائي للمدركات الحسية في العالم والأحداث الإنسانية (شارودو، ٢٠٠٩: ١٦).

وبما أنَّ استراتيجية الحجاج تقوم على الإقناع الذي يهدف إليه المتكلم؛ فإنَّ ذلك يقتضي عددًا من الوسائل والتقنيات التي تساعد على تحقيق ذلك، فالخطاب القرآني في سورة الواقعة اعتمد التقسيم أسلوبًا بنائيًا لعرض قضية البعث والحجج المؤيدة لها، وجاء هذا الأسلوب وعاءً لكثير من الأساليب اللغوية والبديعية التي تحقق التأثير، مثل التوكيد والقسم والاستفهام والفاصلة السجعية والطباق والمقابلة، وجميعها أساليب لا غنى عنها في الخطاب؛ لما لها من دور في تحقيق الانسجام والاتساق الحجاجي؛ للوصول للهدف والنتيجة التي يريدها المتكلم (حشاني، ٢٠١٣: ٢٨٠)، وبما يعمل على تقوية المعنى الحجاجي لدى المتلقي، وجذب انتباهه، وترسيخ الحجة في ذهنه، وسيجري إيضاح هذه الأساليب على النحو التالي:

١- التوكيد:

التوكيد "معنى مستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية، وغرض تواصلي، يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب" (صحراوي، ٢٠٠٥: ٢٠٦)، وهو أحد الأساليب الحجاجية البارزة في التعبير، والاستعمال، والتأثير، والتكثيف في استعماله؛ يهدف إلى لفت انتباه المتلقي للوضع، واستمالته عند تقديم الحجج، ومنحها مزيدًا من التوثيق والتبليغ (محمدي، ٢٠١٩: ٧٤). يقول الزركشي (٢٠٠٠: ٢/٣٩٠): "إنما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجًا ألقي إليه الكلام خاليًا من التأكيد، وإن كان مترددًا فيه حسُن تقويته بمؤكد، وإن كان منكرًا وجب تأكيده".

ومن نماذج التوكيد في سورة الواقعة قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ}، ففيها تأكيد للخبر بـ(إن) واللام؛ لردّ إنكارهم، وجاء قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}، مشتملًا على أربعة مؤكدات هي: (إن)، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين، وهي ذروة الإقناع بعد أن جرى عرض الحجج الدامغة التي أبطلت أوهام المكذبين.

وفي قوله تعالى: {لا مقطوعة ولا ممنوعة} توكيد بالنفي المكرر، أراد به أن هذه الفواكه دائمة مبذولة لهم، "والنفي هنا أوقع من الإثبات؛ لأنه بمنزلة وصفٍ وتوكيده" (ابن عاشور، ١٩٩٧: ٣٠٠/٢٧)، وفي قوله: {أنشأناهن} و{جعلناهن} إفادة التوكيد والاعتناء بأصحاب اليمين المستفاد من المقام، وفي قوله: {أَوَ آباؤنا} أعيد الاستفهام توكيدًا للاستبعاد (ابن عاشور، ١٩٩٧: ٣٠٧/٢٧).

وتكرار كلمة (لولا) في قوله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بلَغَتِ الْحُلْقُومَ/ فلولا إن كُنتمْ غيرَ مدينينَ} تأكيد لفظي أعيد لتُبنى عليه جملة {ترجعونها} لطول الفصل(ابن عاشور، ١٩٩٧: ٣٤٤/٢٧)، كما أنَّ إعادة {فشاربون} في قوله تعالى: (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) توكيد لفظي فائدته "زيادة تقرير ما في هذا الشرب من الأعجوبة، وهي أنه مع كراهته يزدادون منه كما ترى الأهيَم، فيزيدهم تقطيعًا لأمعائهم لإفادة التعجيب من حالهم تعجيبًا ثانيًا بعد الأول، فإن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة أمر عجيب، وشربهم له كما تَشرَب الإبل الهِيم في الإكثار أمر عجيب أيضًا، فكانتا صفتين مختلفتين" (ابن عاشور، ١٩٩٧: ٣١١/٢٧).

فمن الواضح إذن أنَّ التوكيد اللفظي والمعنوي أسهم في رفد الوصف القرآني بالإقناع والتأثير، سواء في سياق الحديث عن فريق المصدقين، أو في سياق الحديث عن فريق المكذبين.

٢- القسم:

يُعدُّ القسم أحد "طرق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين، أو إزالة شك الشَّاكِين"(يوسف، ٢٠١٨: ٢٠٣-٢٠٤)، وبذلك فهو وسيلة من وسائل الإقناع وإقامة الحجة، وقد خُصّ بالدراسة منفردًا لكونه أعلى درجات التوكيد (العزاوي، ٢٠٠٦: ٢١٠).

وللقسم جليل قدر ومكانة، فمكانته بجلال من نعقد الأيمان به، وهو الله تعالى، فكيفَ إذا كان المُقسِمُ هو الله تعالى، قال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [٧٥] وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}، فالملاحظ أن هذا القسم أتى بعد ذكر الدلائل والبراهين، وذلك أن الله تعالى لما أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، أيده بالبراهين القاطعة والموعظة الحسنة المرققة للقلوب المنورة للصدور، والمجادلة التي هي على أحسن الطرق، فأتى بها وعجز الكل عن معارضته بشيء، ومع ذلك لم يؤمنوا، حينئذٍ لا يبقى جواب على الخصوم غير القسم بالأيمان التي تثبتُ أنه غير مكابر في مجادلتهم، وأنه منصف(الرازي، ١٤٢٠: ٤٣٤/٢٩).

ويمكن القول: إنهم أرادوا بتكذيبهم بالبعث أن يعمموا هذا التكذيب على كل ما جاء في القرآن، فيكذبوا بالألوهية والربوبية والرسالة والمأمورات والمنهيات، فأريد بالقسم إثبات كل ذلك، وهو أنسب ما يمكن أن يقال بعد سرد الحجج، وإثبات ما يحتاج إلى إثبات، ونقض ما يحتاج إلى نقض، فكان المناسب لفت أنظارهم إلى أنَّ كل ما جاء في القرآن هو من الأمر نفسه، ليكون تعميمًا بصدق كل ما جاء فيه.

وقيل في تخريج القسم: (لا) زائدة، وقيل: لا، نافية لمقالتهم، وأتى القسم بعدها، كأنه قال: لا، والله لا صحة لقول الكفار، وأقسم عليه، فكلمة (لا) هي نافية على معناها، فالقسم إما لكون الواقعة في غاية الظهور فيقول: لا أقسم على هذا الأمر؛ لأنه أظهر من أن يشهر، وأكثر من أن ينكر، وقد يراد به الإعلام بأنَّ الواقعة ظاهرة؛ لكون المقسم به فوق ما يقسم به، والمقسم صار يصدق نفسه فيقول: لا أقسم يمينًا بل ألف يمين، وفي كلتا الحالتين يظل قوله: {لاَ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ}، بمعنى أن الأمر أظهر من أنْ يقسم عليه، وأن يتطرق الشك إليه (الرازي، ١٤٢٠: ٢٩/٤٣٤).

وأيًا ما كان الأمر، فإن مجرد ذكر القسم هنا تعظيم لليمين الصادق ولما يقسم به، وهو رد على حنث أولئك المكذبين في أيمانهم، فقد قيل في تفسير قوله تعالى: (وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ): إنها اليمين الغموس (القرطبي، ٢٠٠٣: ٢١٣/١٧) التي يريدون بها تأكيد حججهم الزائفة، وحين جاء الخطاب القرآني بالحجج الصادقة التي تنسفها؛ جاءت معها اليمين الصادق للتأكيد وحسم الجدل.

٣- الاستفهام:

يوصف الاستفهام بأنه فعل لغوي يندرج في الأساليب الإنشائية، التي تؤدي وظائف حجاجية تسعى إلى تحقيق أغراض تواصلية وتأثيرية في المخاطب، "بحمله على فعل أو تركه، أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطب، أو وعيده، أو سؤاله واستخباره عن شيء، أو إبرام عقد من العقود، أو فسخه، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة"(صحراوي، ٢٠٠٥: ١١).

والاستفهام يستلزم "تأويل القول المراد تحليله، انطلاقًا من قيمته الحجاجية، على أنه يتجه وجهة القول المنفي" (العزاوي، ٢٠١٠: ٥٧-٥٨). وفي سورة الواقعة خرج الاستفهام عن غرضه الأصلي فأدى أدوارًا حجاجيةً بارزة، منها:

- التقرير:

يقصد به إقرار المخاطب بأمر استقرَّ عنده، فيخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام؛ لأنه أوقع في النفس، وأدل على الإلزام (العزاوي، ٢٠١٠: ٥٨-٥٩)، فيكون غرض الاستفهام التقريري إلزام السامع بالحجة، حيث ينتزع المتكلم منه الاعتراف الذي يرغب في معرفته، ومثل ذلك قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ [٥٨] أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}.

فالاستفهام هنا، في رأي الفخر الرازي، يستلزم من المتلقي إقرارًا بقدرة الله على الخلق يلزم عنه إقرار آخر بقدرته على البعث، فهم حين "يشكّون ويقولون: الخلق الأول من منْيٍ بحسب الطبيعة، فنقول: المني من الأمور الممكنة، ولا وجود للممكن بذاته، بل بالغير على ما عُرف، فيكون المني من القادر القاهر، وكذلك خلق الطبيعة وغيرها من الحادثات، فقال لهم: هل تشكون في أنَّ الله خلقكم أولًا أم لا؟ فإن قالوا: لا نشك في أنّه خالق، فيقال: فهل تصدقون أيضاً بخلقكم ثانياً؟ فإنَّ مَن خلقكم أولًا من لا شيء؛ لا يعجز أنْ يخلقكم ثانيًا من

أجزاء هي عنده معلومة، وإنْ كنتم تشكون وتقولون: الخلق لا يكون إلا من منْيٍ وبعد الموت لا والد ولا منْيٌ، فيقال لهم: هذا المنْيُ أنتم تخلقونه أم الله، فإن كنتم تعترفون بالله وبقدرته وإرادته وعمله، فذلك يُلزِمكم القول بجواز الحشر وصحته" (الرازي، ١٤٢٠: ٢٩/٤٢٠).

بل إن خلق الإنسان من منْيٍ هو بحد ذاته أمرٌ تقاس عليه حقيقة البعث، وتتضح به هلامية هذا الاستبعاد، ذلك أنَّ "الله تعالى يخلقه آدميًا ويجعله بشرًا سويًا، فالنطفة كانت قبل الانفصال حية، ثم صارت ميتة، ثم أحياها الله تعالى مرةً أخرى، فاعلموا أنما إذا خلقناكم أولًا ثم قدرنا بينكم الموت ثانيًا، ثم ننشئكم مرةً أخرى فلا تستبعدوا ذلك كما في النطف"(الرازي، ١٤٢٠: ٢٩/٤٢٢).

وهكذا هي صيغ الاستفهام في الآيات الأخرى (أفرأيتم ما تحرثون؟/ أفرأيتم الماء الذي تشربون/ أفرأيتم النار التي تورون) تستلزم من أولئك المنكرين إقرارًا بقدرة الله على الخلق، ثم إقرارًا بقدرته على البعث، فإعادة الخلق أهون من الإيجاد من عدم، بل إننا نقرأ في الجمع بين هذه العناصر الأربعة (المني، الزرع، الماء، النار) دعوة إلى إعمال العقل والتفكر، ليجري قياس قدرة الله على بعث الخلائق وجمعهم في عرصات القيامة على قدرته في خلق الإنسان من (صلصالٍ كالفخار) بتضافر عناصر أربعة تكونت منها مادته وصفاته (التراب والماء والنار والهواء) (البقاعي، ١٩٨٤: ٩/١٥٦)، بحيث يكون الاحتجاج هنا ليس فقط بخلق الله لهذه العناصر من أجل الإنسان، ولكن أيضًا بجمعها في تكوينه وخلقه قبل ذلك، ومن له القدرة على هذا الجمع والخلق؛ لابد أن يكون أهون عليه إعادة جمعها من جديد لبعثهم.

- الإنكار:

يأتي إنكار الشيء المسؤول عنه حين يكون أمرًا منكرًا عرفًا أو شرعًا، والاستفهام الإنكاري نوعان، أحدهما: استفهام تكذيبي، وهو أن ينكر المستفهِم من شخص معين أمرًا ما ادّعاه لنفسه، وليس ذلك صحيحًا، فيكذبه المتكلم فيما ادّعاه، والآخر: استفهام توبيخي، وهو أن ينكر المستفهِم على شخص ما قولًا معينًا قاله، أو عملًا عمله، ولم يكن ينبغي له ذلك، فيوبّخه على ما صدر منه (عباس، ١٩٩٧: ١٩٤).

يقول الله تعالى: {وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ[٤٧] أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}، فالاستفهام جاء هنا بالنفي القاطع من هؤلاء الذين يُكذِّبُون بالبعث، للدلالة على الإنكار، وأنَّ ما جاء به النبي الكريم محض خيال وأوهام، ثم ذهبوا يسردون حججهم على ذلك، "فقالوا أولاً: {أَءِذَا مِتْنَا}، ولم يقتصروا عليه، بل قالوا بعده: {وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً}؛ أي فطال عهدنا بعد كوننا أمواتًا، حتى صارت اللحوم ترابًا والعظام رفاتًا، ثم زادوا وقالوا: مع هذا يقال لنا: {إِنَّكُمْ لَمَبْعُوثُونَ} بطريق التأكيد؛ باستعمال كلمة إنَّ، وإثبات اللام في خبرها، وترك صيغة الاستقبال، والإتيان بالمفعول كأنه كائن {إِنَّكُمْ لَمَبْعُوثُونَ}، ثم زادوا وقالوا: {أَوَءَابَاؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ} يعني هذا أبعد، فإنَّا إذا كنا ترابًا بعد موتنا والآباء حالهم فوق حال العظام الرفات فكيف يمكن البعث؟"(الرازي، ١٤٢٠: ٢٩/٤١٥).

ويأتي الرد على هذا الادعاء المغلوط بمستوى خطابي صارم يركز على تفنيد حججهم أكثر من سرد حجج جديدة، لاسيما وهم يظنون أنهم بذلك الاستبعاد الساخر (أوآباؤنا الأولون!!) قد أسكتوا خصمهم وألزموه الحجة، فالله يقول لنبيه: {قل إِنَّ ٱلأَوَّلِينَ وَٱلآخِرِينَ} "بتقديم الأولين على الآخرين في جواب قولهم: {أَوَءابَاؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ}، فإنهم أخروا ذكر الآباء لكون الاستبعاد فيهم أكثر، فقال إن الأولين الذين تستبعدون بعثهم وتؤخرونهم يبعثهم الله في أمر مقدم على الآخرين، يتبين منه إثبات حال من أخرتموه مستبعدين، إشارة إلى كون الأمر هيناً، {لَمَجْمُوعُونَ} هو واقع مع أمر زائد، وهو أنهم يحشرون ويجمعون في عرصة الحساب، وهذا فوق البعث"(الرازي، ١٤٢٠: ٤١٥/٢٩).

فلا تخفى إذن محورية الزمن في الرد عليهم، مثلما جاءت أدلتهم مرتكزةً على عامل الزمن؛ بحيث تكون حجة الرد من جنس حجة الادعاء، وذلك أدعى للإقناع والإسكات، وأن يدركوا مدى غبّهم وشدة جهلهم وسوء ظنهم بربهم، فهم يزعمون أنَّ البلى وتقادم العهد بين من يموتون اليوم ومن ماتوا قبل ذلك بعقود أو قرون يجعل من المحال بعث هذه الأجساد المتعاقبة في الوجود وقد أصبحت ترابًا فوق تراب، ومن ثم يأتي الرد بأنَّ الخالق القدير سيجعل مبعثهم جميعًا في وقت واحد، وهذا يعني أنَّ ما كانوا يرونه صعبًا (بعث أجساد فنيت في أزمان متباعدة) واجهه الخطاب القرآني بما هو في نظرهم أكثر صعوبة (وهو في نظر الخالق أسهل)، أي البعث في زمن واحد؛ لتتضح لهم قدرة الله ليس في البعث فقط، ولكن في البعث وتوحيد زمن البعث (لميقات يوم معلوم)، إذ ليس للمنكر المستصعب حصول الشيء إلا مواجهته بإيجاد ما هو أكثر صعوبة منه في نظره؛ حتى يوقن بالمقدرة والإمكان.

وفي قوله تعالى: {أفبهذا الحديث أنتم مدهنون}: استفهام إنكاري؛ أي أنكم تسمعون الحق، ولكنكم تصرون على الإعراض والمخادعة، فالمدهن في رأي الماتريدي "هو الذي يرى الموافقة، ويحتال في دفع حجة ما يلزمه ويرد عليه" (الماتريدي، ٢٠٠٥: ٥٠٧/٩)، فلعلها إذن من المداهنة؛ أي ممالأة أهل الباطل الذين اعتادوا تكذيب الأنبياء وتحريف الكلام عن مواضعه.

- التعجب:

يراد به "أن يكون المستفهم عنه مثيرًا للعجب والدهشة" (يوسف، ٢٠٠٠: ١٨). ومن ذلك قوله تعالى: {فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ}، فالآية هنا جملة استفهامية على معنى التعجب، تفخيمًا لحالهم وتعظيمًا لشأنهم، كأنه يقول: "هل تدري أيُّ شيء أصحاب الميمنة؟ من هم وما هي حالهم وصفتهم؟ إنهم الذين يؤتون صحائفهم في أيمانهم، فهو تعجيبٌ لحالهم، وتعظيم لشأنهم في دخولهم الجنة وتنعُّمهم بها" (الصابوني، ١٩٨١: ٣٠٦/٣)، ومن ثم يكون معنى قوله تعالى: {وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ}؟ أي هل تدري من هم؟ وما هي حالهم وصفتهم، إنهم الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم، ففيه تعجيب لحالهم في دخولهم النار وشقائهم.

وفي رأي الألوسي (١٤١٥: ١٣١/١٤) أنَّ المقصود هو "التفخيم في الأول، والتفظيع في الثاني، وتعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل: فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال، وأصحاب المشأمة في غاية سوء الحال"، وعند ابن عاشور أنَّ الاستفهام في كلتا حالتي السعادة والشقاوة؛ تعجيبٌ ترك على إبهامه هنا دون الإتيان بضميريْهما؛ لتنطلق الأفهام في التأويل والبحث؛ فمقام التعجيب والتشهير، في رأيه، يقتضي الإظهار (ابن عاشور، ١٩٩٧: ٢٨٦/٢٧)، ويبدو لنا أن هذا الإظهار فيه من التفخيم ما يتناسب مع تفصيل الخطاب القرآني لمظاهر النعيم والشقاء لكلا الطرفين، خلافًا للإضمار الذي يأتي في مقام الإيجاز، كما في قوله تعالى: (وما أدراك ما هيه، نار حامية).

٤- الفاصلة:

الفاصلة هي السجع (الرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، ١٩٧٦: ٩٧)؛ أي "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد" (ابن الأثير، د، ت: ٢١٠/١)، وأصله من سجع الحمامة، وهو ترديد صوتها (الفيروزآبادي، ٢٠٠٨: ٧٤٨)، قال الزّركشي: (٢٠٠٠: ٥٤/١) "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمّى فواصل؛ لأنّه يُفصل عندها الكلام، وذلك أنّ آخر الآية فصل بينها وبين وما بعدها، ولم يسمّوها أسجاعًا".

وفي سورة الواقعة تنوعت الفاصلة تنوعًا ملحوظًا، بما ينسجم مع البنية الحجاجية التي تنتظم الدلالات فيها، وذلك لما يحققه الفن البديعي للألفاظ والتراكيب من إيحاء وتأثير في نفس القارئ أو السامع، فعلى الرغم من أن الفاصلة جزء من النغم؛ فإنها تظل محكومةً بالمعنى الذي يفرضه السياق والحالة النفسية التي يريد القرآن للسامع أن يكون عليها، فلا تَحِلُّ فاصلةٌ محلَّ أخرى، بل ترى "السجعات نازلة في مواضعها، ملائمة لموقعها، بريئة من التكلف، تَتبعُ فيها الألفاظُ المعاني، فلا نقص ولا زيادة، ولا تكرار لضرورة السجع" (الحوفي،١٩٧١: ٩٦).

فالفاصلة في قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}، قوية التركيب، فخمة مُصَوِّرَةٌ للانفعالات، وأهوال يوم القيامة، وعظم شأنها وخَطْبِها (نذير، ١٩٩١: ١٠٢)، وفي قوله تعالى: {إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} نجدها بالمد القصير قويةً، تتناسب وتتناسق مع صوت الرجّة والاضطراب، تأكيدًا وإثباتًا لما أنكره المنكرون، ونسفًا لحججهم الزائفة، وكأن جحودهم وكفرهم شيء ترتجح له الأرض وتنهدُّ منه الجبال.

ويأتي تكامل الفاصلة مع السياق لرسم المشهد في قوله تعالى: {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠)}، فالفاصلة هنا تتميز بدقة اختيارها المكمل للمعنى المراد، ومناسبتها للسياق الواردة فيه، إذ إن صوتُ الدَّال مَعَ المد الطويل بالصيغة الاسمية؛ يؤكد معنى الديمومة، فهو نعيمٌ مقيم دائم لا انقطاع له، وشأن هذا المستوى

البديعي من التأثير أن يفجر في نفس المصدقين اشتياقًا لما أعده الله لهم، كما من شأنه أن يلامس شغاف أولئك المكذبين فيعودوا إلى الحق، وإن لم؛ فيكفي أن يبعث في نفوسهم حسرة ليس أمامهم لسترها وإخفائها إلا المكابرة والعناد.

مع ملاحظة أن البعد الحجاجي لأسلوب التقسيم في السورة اقتضى تمييزًا بين فريقي المصدقين والمكذبين في نوع الفاصلة؛ لتتجلى فداحة التكذيب في مقابل وجاهة التصديق، ففي حين لزم صوت النون مشاهد النعيم في الجنة {مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}؛ جاء صوت الميم ملازمًا لمشهد العذاب في النار، بما في هذا الصوت من الإغلاق والحبس، على عكس ما في النون من الانفتاح والانفراج، فالله يقول عن المكذبين وقد أوردهم النار: {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)}، وقوله: {فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)}، فالدلالة الحجاجية للميم هنا تتمثل في إيحائه بالتهويل والترهيب، وإذا كان استعمال الجملة الاسمية في وصف كلا الفريقين قد أوحى بالثبات والديمومة للجزاء/ النتيجة التي وصل إليها كلا الفريقين؛ فإن غُنَّة النون في سياق وصف النعيم تحكي ما هم عليه أصحاب اليمين من الترنم والمتعة والسعادة، في حين تحكي غُنَّة الميم ما هم عليه أصحاب الشمال من الأنين والتوجع والشقاء.

٥- المطابقة والمقابلة:

الطباق أو المطابقة: الجمع بين المتضادين؛ أي: معنيين متقابلين، وتبرز حجاجية الطباق – بوصفه عنصرًا جماليًا – في التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، من منطلق أنَّ المتضادات أقرب تخاطرًا إلى الأذهان من المتشابهات (الميداني، ١٩٩٦: ٢/٣٧٧-٣٧٨).

ففي قوله تعالى: {خَافِضَةٌ رافِعَةٌ} طباق إيجاب، "مع الإغراب بثبوت الضدين لشيء واحد" (ابن عاشور، ١٩٩٧: ٢٧/٢٨٣)، وهو تأسيس للتقسيم، فهذه الواقعة في نتيجتها تخفض أناسًا وترفع آخرين، وهم أولئك الذين جاء الإفصاح عنهم في صيغة طباقية تالية: (الْمَيْمَنَةِ – الْمَشْأَمَةِ)، و(لأَوَّلِينَ – الآخِرِينَ)، وهي وسيلة إقناعية، وحجة متوازية بين المتضادات (محفوظي، ٢٠١٧: ٣٠٦)، فقد تحول الطباق من مجرد محسّن بديعي يُستعمل لإمتاع المتلقي وإضفاء حسن وبهاء على شكل الخطاب، إلى حجة لها تأثير وفاعلية لدى المخاطب.

ثم تأتي المقابلة، وهي أن يُؤتَى بمعنَيَيْن أو معانٍ متوافقة، ثم يُؤْتَى بما يقابلهما، أو يقابلها (الميداني، ١٩٩٦: ٢/٣٧٨)؛ لتكون أسلوبًا ذا قيمة حجاجية في إبراز المعنى وتوكيده، وذلك من خلال تصوير فريقين متقابلين، بحيث جاءت الإحاطة في وصف أصحاب اليمين أبلغ في الكرامة {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ

مَمْدُودٍ(٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}، وجاءت الإحاطة في وصف أصحاب الشمال أبلغ في الإهانة {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}، وبهذه المقابلة بين الأضداد على جهة الاقتران؛ يتكشف مدى الاختلاف بين الفريقين، وهو مقصد يتجاوز القيمة اللغوية أو التعبيرية لهذا الأسلوب إلى غاية حجاجية تستدعي الإقناع وإلزام الحجة.

المحور الخامس: الروابط الحجاجية:

تأتي الروابط ضمن البنى التي يقوم عليها تماسك النص، بما تقدمه من وظائف حجاجية (نجيب، ١٩٨٥: ٩٠)، لاسيما أنها تربط بين الحجة والنتيجة، أو بين مجموعة من الحجج، فيظهر أثرُها في التسلسل والانسجام؛ مما يؤدي إلى إقناع المخاطب، والتأثير فيه (رزيق، ٢٠١٧: ٣٤)، والربط، بحسب (فان دايك) ليس مجرد علاقة على المستوى النحوي أو التركيبي، إذ لابد من تناغم دلالي بين الأشياء التي يجري الربط فيما بينها (دايك، ٢٠٠٠: ٧٧-٧٩).

أولًا: روابط الوصل:

(بل):

هو حرفُ عطف نسقي، يأتي للإضراب عما تقدمه، والاهتمام بما بعده، وهو حرف انتقالٍ إبطاليّ (أبو غليون، ٢٠٢٠: ١٥٧)، "يقيم علاقةً حجاجية ثانيةً تسير في اتجاه النتيجة المضادة؛ أي بين الحجة القويّة التي تأتي بعد (بل)، والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة، فالرابط الحجاجي (بل) يربط بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادة ستصبح نتيجة القول بِرُمَّته؛ لأنَّ الحجة بعد (بل) أقوى من الحجة التي ترد قبلها" (العزاوي، ٢٠٠٦: ٦٢-٦٣).

ومثل ذلك قوله تعالى: {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}، فقولهم: {إنا لمغرمون} تندمًا وتحسرًا، وأتت (بل) بعدها للإضراب، للتعبير عن شدة الندم والحسرة، وبلوغهما أعلى درجة، مع ملاحظة أن هذا التصاعد في حالتهم الانفعالية كأنه جاء صدًى لحالة التكذيب التي اتسمت بالتطاول والتهكم والتصاعد في الإنكار والإيغال في الصدود {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}، والمقصود أن في قوله: {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}؛ تذكيرًا لهم ببشاعة تماديهم وتحذلقهم في الكلام بقولهم: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}، أو كأن هذا الأسلوب في التخاطب مع النبي الكريم سيغدو وبالًا عليهم، فيكون صراخهم في النار بالأسلوب نفسه.

(لكنَّ):

(لكنَّ): حرف مشبه بالفعل، من أخوات (إنَّ)، تفيد معنى الاستدراك، وهو تعقيب الكلام برفع ما يُتوهم ثبوته أو نفيه (ابن هشام، د، ت: ٣١٩/١)، ويكون ما بعدها مخالفًا "لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلامٌ مناقضٌ لما بعدها" (ابن هشام، ١٩٨٥: ٣٨٣). ولهذه

الأداة دورها الحجاجي؛ لما تتميز به من علاقة استدراكية لما قبلها، تقوي به ما بعدها، فمتى "توسطت دليلين بوصفها رابطًا حجاجيًّا، جعلت الدليل الوارد بعدها أقوى من الدليل الذي سبقها" (الدريدي، ٢٠١١: ٣٤٧).

قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تبْصِرُونَ}، فمعنى الاستدراك في قوله: {ولكن لا تبصرون} راجع إلى قوله: {ونحن أقرب إليه منكم} لرفع توهم قائل: كيف يكون أقرب إلى المحتضر من العُوّاد الحافّين حوله، وهم لا يرون شيئاً غيرهم؟ ولذلك يأتي الاستدراك بأن من حول الميت محجوبون عن رؤية أمر الله تعالى (ابن عاشور، ١٩٩٧: ٣٤٥/٢٧)، والفاعلية الحجاجية لهذا الاستدراك تتجلى في كونه يكشف للمنكرين ضعفهم ومحدودية تفكيرهم وقصور علمهم، وأنَّ ثمة قوة عظيمة عليهم أن يذعنوا لها، هي قوة الله الذي خلق الخلق وإليه معادهم.

ثانيًا: روابط الشرط

تتحقق بأسلوب الشرط علاقة الاقتضاء، بما لديها من طاقة حجاجية عالية؛ فهي لا تصل الحجة بالنتيجة المرصودة للخطاب فحسب كغيرها من الروابط؛ وإنما تتميز بأنها تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاءً، ومعنى ذلك أنَّ بناء النص الخطابي على رابط الشرط مرهون باحتمالات فعل الشرط، وما يترتب عليه من قيم إقناعية في الجواب، إذ يغري الجمهور المستمع بإنجاز القيم الأولى من منطوق الحجة وحصاد ثمار الآخرة سلبًا أو إيجابًا (الدريدي، ٢٠١١: ٣٣٥)' وأهم هذه الروابط:

(إذا):

تعدُّ (إذا) رابطًا من الروابط التأييدية؛ "لارتباطه بالحالة التي يكون عليها المحاجج، وهي تأييده لهذه القضية، ومحاولة دعمها بمختلف الحجج والبراهين" (مكناسي، ٢٠١٧: ٥١)، ولكن هذا الرابط "لا قيمة له في حدِّ ذاته إلا ضمن السيرورة الحجاجية المُصاحبة لإنتاج الملفوظ" (ختام، ٢٠١٦: ١٦٨)، فهو رابطٌ ثنائي الاستعمال، يحمل بُعدًا تأييديًّا أو إبطاليًّا.

استهلت السورة بالظرف (إذا) المتضمن معنى الشرط المجزوم بوقوعه، وجاء الفعل (وقعت) من لفظ الفاعل (الواقعة)، متبوعًا بجملة اسمية منفية، تقدم فيها الخبر عن الاسم، وبما أن الجملة المنفية تنفي جملة مثبتة؛ فهي تنفي نكران البعث الذي ادعوه، وليس في هذا الاختيار الدقيق للألفاظ المختلفة المباني المتحدة في المعنى إلا تأكيد لحتمية وقوع هذا اليوم (السامرائي، ٢٠٠٣: ٦٥/٤).

بعد هذا التأكيد يأتي ما يصحب هذا الحدث الجلل من هزٍّ للأرض، وبسٍّ للجبال، والحدثان مؤكدان بالمصدر المشتق من الفعل؛ "لأنَّ الفعل يتضمن الدلالة على الحدث، والمصدر يدل على الحدث نفسه، فيصبح ذكر المصدر تكرارًا لذكر الحدث في الفعل، وفي تكرار ذكر الحدث تأكيد له" (البياني، ٢٠٠٣: ١٩٩)، وحشد المؤكدات في مستهل السورة غرضه نفي الشك الذي ساور المنكرين لهذا اليوم وما يقع فيه، إلى جانب تأكيد أن ما يُذكر

بعد هذا الاستهلال في تضاعيف السورة من ثواب وعقاب هو الحقُّ أيضًا، وهو كذلك تأكيد لما سيأتي في مشهد النهاية المحتومة التي لابد أنْ تدرك كل حي(إبراهيم، ٢٠١٣: ١٢٩).

(لولا):

هي كلمة مركبة من كلمتين، تعني التحضيض والحث، إذ الأصل فيه: لم لا، وهي في أصلها كلمة شرط، تدل على الاعتساف وتزيد نفي النظر والتواني، فيقول: لولا تصدقون، بدل قوله: لم لا، وهلا، لأنه أدل على نفي ما دخلت عليه وهو عدم التصديق (الرازي، ١٤٢٠: ٤٢٠/٢٩).

ففي قوله تعالى: {فلولا إن كنتم غير مدينين (٨) ترجعونها إن كنتم صادقين}، جاءت الآية إنشاء طلبيًا معلقًا بالشرط، والمعنى كما يقول (الزمخشري، ١٩٩٨: ٣٩/٦): "أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء، إن أنزل عليكم معجزًا، قلتم: (سحر وافتراء)، وإنْ أرسل إليكم رسولًا، قلتم: (ساحر كذاب)، وإنْ رزقكم مطرًا يحييكم به، قلتم: (صدق نوء كذا)، فمالكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم، إنْ لم يكن ثَمّ قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم"؛ أي أن هذا الطلب المعلق بالشرط لن يجد من يحققه، وإنما سيق للتعجيز، "ولجوء القرآن إلى الحجاج الشرطي أمر متوقع، وفي محله تمامًا، وذلك لأن طبيعة العقل الإنساني طبيعة جدلية، وخُتمت السورة آمرةً بالتسبيح الموحي بالاستسلام للحي الذي لا يموت، المبدئ المعيد" (إبراهيم، ٢٠١٣: ١٣٢).

(إنْ):

تُعَدُّ (إنْ) من أدوات ربط جملة فعل الشرط بجوابه، وهي أقوى أدوات الربط؛ لأنها تغير المعنى الدلالي للجملة من خبرية إلى إنشائية، وتربط بين جملتين مفككتين، وهو من قبيل الربط الجُملي (ابن السراج، ١٩٨٨: ٤٣/١).

قال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ}، فصيغة الشرط (أما)، تؤدي هنا وظيفة تقسيم الكلام، لتنسجم بذلك مع الأسلوب العام الذي قامت عليه السورة، وذلك أن هذه الأداة أوجدت حالتين متنافرتين تتضح بهما حقيقة الإيمان والنهاية التي يفضي فيها كل فريق إلى ما قدم، ثم تأتي وظيفة (إن) في تحويل الجمل من طريقة الإخبار إلى شكل حجاجي، صار فعل الشرط فيه (مقدمة)، وصار جواب الشرط (نتيجة)، فبدا الكلام مترابطًا وإقناعيًا من حيث إنه يرسم طرقًا واضحة ومآلات محددة لابد أن يؤول إليه الناس، كلٌ بحسب المعتقد الذي تمسك به، لاسيما بعد أن ألزمهم الحجة وأوقفهم على مشهد الموت {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ}؛ لكي يقروا بحقيقة أن أمر الكون والمخلوقات بيد الله

الخاتمة:

ارتكزت هذه الدراسة على النظرية الحجاجية في تناول سورة الواقعة، بوصفها نموذجًا للخطاب القرآني، يأتي فيه الفن البديعي أسلوبًا بنائيًا يتأسس عليه الموقف الحجاجي بمختلف مكوناته اللغوية والبلاغية؛ لتتجلى فاعلية هذا الأسلوب في حمل الأبعاد الحجاجية للنص القرآني، من خلال عرضه لثلاثة مصائر متعلقة بقضية البعث، وأربعة عناصر هي مادة التكوين، بحيث يستلزم التسليم بقدرة الخالق على الخلق تسليمًا بقدرته على البعث، وتصديق من أخبر عنه.

فحصت الدراسة المبادئ الحجاجية؛ فوجدت أن هذه السورة عبرت عن قضية جوهرية واضحة، وجاء أسلوب التفريع/ التقسيم ليأخذ فرضية المكذبين بالبعث إلى مسار حجاجي يكشف زيف أدلتهم، ويوصل المقدمات إلى النتائج، متراوحًا في ذلك بين الإقناع والإمتاع، في تراتبية دقيقة تحكم الحجج وترجح فيما بينها، بما يفضي إلى تحقيق الغاية من الخطاب.

واتضح أن الموقف الحجاجي يتأسس على القياس والتمثيل والتعليل، بوصفها آلياتٍ أساسيةً لعملية التحاجج، كما أن الحجج في السورة لم تأتِ اعتباطًا، وإنما ينتظمها سياق تصاعدي، وفق قوانين النفي والقلب والخفض، التي توجه المتلقي نحو نتيجة معينة، وبما يحمله على الإذعان والتسليم بحقيقة البعث وصدق الرسالة.

وكان لبنائية أسلوب التقسيم أثرها في توظيف الإمكانات اللغوية والفنون البديعية في رفد الخطاب الحجاجي بكثير من أسباب الإقناع، فأساليب التوكيد والقسم والاستفهام وإيقاعية الفاصلة والمطابقة والمقابلة جميعها ذات طاقة حجاجية، بما لها من أثر في تقوية المعنى الحجاجي لدى المتلقي، وجذب انتباهه وترسيخ الحجة في ذهنه، كما كان للروابط الوصلية والشرطية فاعليتها الحجاجية في تماسك النص، من حيث ربطها بين الحجة والنتيجة، أو بين الحجج بعضها مع بعض، بما يؤدي إلى إقناع المخاطب، والتأثير فيه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

إبراهيم، روادي. (٢٠١٣م). الحجاج في سورة الواقعة. ***مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عمار ثليجي،*** الجزائر. العدد (٣). ١٢٤-١٣٤.

ابن الأثير، ضياء الدين. (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. [قدمه وحققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة]. (د. ط). القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. (١٩٨٨). الأصول في النحو. [تحقيق: عبدالحسين القتلى]. (الطبعة الثالثة). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد طاهر. (١٩٩٧). التحرير والتنوير. (د. ط). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

ابن هشام، جمال الدين عبدالله الأنصاري. (١٩٨٥). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. [تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله]. (الطبعة السادسة)، بيروت: دار الفكر.

ابن هشام، جمال الدين عبدالله الأنصاري. (د ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. [دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي]. (د. ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم. (١٩٦٩). البرهان في وجوه البيان. [تحقيق: حنفي محمد شرف]. (د.ط). القاهرة: مكتبة الشباب.

أبو غليون، هاني يوسف. (٢٠٢٠). الحجاج في النص القرآني (سور الحواميم أنموذجًا). (الطبعة الأولى). عمّان: دار زهدي للنشر والتوزيع.

الألوسي، محمود أبو الفضل. (١٤١٥). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. [تحقيق: علي عبد الباري عطية]. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد. (١٤٠٤). الإحكام في أصول الأحكام. [تحقيق: سيد الجميلي]. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

الأندلسي، أبو حيان. (١٤٢٠). البحر المحيط. [تحقيق: صدقي محمد جميل]. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (١٩٩٧). تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل). [تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش]. (الطبعة الرابعة). مكة المكرمة: دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر. (١٩٨٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (د. ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

بن المهدي، الغالي بنهشوم. (٢٠٢٠). أساليب الحجاج في الخطاب (دراسة تطبيقية). (الطبعة الثانية). عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع.

البياني، سناء حميد. (٢٠٠٣). قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. (الطبعة الأولى). الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

حاكم، عمارية. (٢٠١٧). حجاج الإبهام والمغالطة في الخطابة العربية (منتخبات من خطب الحجاج بن يوسف الثقفي)، ***مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية***. المجلد (٢). العدد(٥). ٧١-٩٢.

الحباشة، صابر. (٢٠٠٨). التداولية والحجاج. (الطبعة الأولى). دمشق: دار صفحات للنشر والتوزيع.

حشاني، عباس. (٢٠١٣). مصطلح الحجاج وبواعثه. ***مجلة المخبر***. **قسم الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات. جامعة بسكرة. الجزائر**. العدد (٩). ٢٦٧-٢٨٨.

حشاني، عباس. (٢٠١٤). خطاب الحِجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي). (الطبعة الأولى). أربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

الحوفي، أحمد محمد. (١٩٧١). سجع القرآن الفريد. ***مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة***. العدد(٢٨). ٩١-٩٦.

حوّى، سعيد. (١٤٢٤). الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة. (الطبعة السادسة).

ختام، جواد. (٢٠١٦). التداولية أصولها واتجاهاتها. (الطبعة الأولى). عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

دايك، فان. (٢٠٠٠). النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي). [ترجمة: عبدالقادر قنيني]. بيروت والدار البيضاء: أفريقيا الشرق للنشر.

الدريدي، سامية. (٢٠١١). الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه). (الطبعة الثانية). إربد: عالم الكتب الحديث.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. (١٤٢٠). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رزقي، الطيب. (٢٠١٧). البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. أطروحة دكتوراه. جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة: كلية الآداب.

رزيق، بالقاسم، وفريجات، عبدالرزاق. (٢٠١٧). توظيف الروابط الحجاجية في القرآن الكريم (نماذج قرآنية مختارة). رسالة ماجستير جامعة حمه لخضر – الوادي.

الرفاعي، شيماء خالد. (٢٠١٩). الوسائل الحجاجية في الخطب المنبرية. ***المجلة العربية للبحث العلمي***. العدد(٧). ١-٣٠.

الرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني. (١٩٧٦). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. [حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام]. (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار المعارف.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله. (٢٠٠٠). البرهان في علوم القرآن. [تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم]. (الطبعة الأولى). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر. (١٩٩٨). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. [تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي]. (الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة العبيكان.

السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٣). معاني النحو. (الطبعة الثالثة). القاهرة: شركة العائك لصناعة الكتاب.

السيوطي، جلال الدين. (١٩٧٤). الإتقان في علوم القرآن. [تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم]. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شارودو، باتريك. (٢٠٠٩). الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى والمبنى). [ترجمة: أحمد الوردني]. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

شمس الدين، جلال. (٢٠١٢). التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة إبستمولوجية. (د. ط). الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

شنيار، سجاد صالح. (٢٠١٩). إبستمولوجيا الدرس الحجاجي في اللسانيات المعاصرة. ***المؤتمر الدولي الثالث حول القضايا الراهنة للغات، اللهجات، وعلم اللغة.***

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية). (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الصابوني، محمد علي. (١٩٨١). صفوة التفاسير. (الطبعة الرابعة). مكة المكرمة: دار الصابوني.

صادق، مثنى كاظم. (٢٠١٥). أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية). (الطبعة الأولى). بغداد وبيروت والجزائر وتونس: دار ومكتبة عدنان، ومنشورات الاختلاف، ومنشورات ضفاف، وكلمة للنشر والتوزيع.

صحراوي، مسعود. (٢٠٠٥). التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي). الطبعة الأولى). بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع.

صولة، عبدالله. (٢٠٠٧). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. (الطبعة الثانية). بيروت: دار الفارابي.

صولة، عبدالله. (٢٠١١). في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات). (الطبعة الأولى). تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع.

الطلبة، محمد سالم. (٢٠٠٨). الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر). (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

العاني، معمر منير. (٢٠١٤). التداول الإعرابي للنص القرآني (أمثلة جزئية وموجهات كلية). ***مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل.*** المجلد (٢٢). العدد (٦). ١٣١٤-١٣٢٧.

عباس، فضل حسين. (١٩٩٧). البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني). (الطبعة الرابعة). إربد: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الرحمن، طه. (١٩٩٤). التواصل والحجاج، (الطبعة الأولى). المغرب: جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية (مطبعة المعارف الجديدة).

عبد الرحمن، طه. (١٩٩٨). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. (الطبعة الأولى). بيروت: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن، طه. (٢٠٠٠). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. (الطبعة الثانية). بيروت: المركز الثقافي العربي.

العبد، محمد. (٢٠٠٢). النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع). ***مجلة فصول.*** العدد (٦٠). ٤٢-٨٦.

عبدالرحمن، طه. (١٩٨٧). مراتب الحجاج وقياس التمثيل. ***مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس، المغرب***. العدد(٩). ٧ –٢١.

العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦). اللغة والحجاج. (الطبعة الأولى). المغرب: العمدة للطباعة.

العزاوي، أبو بكر. (٢٠١٠). الخطاب والحجاج. (د. ط). بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

علي، محمد عديل عبدالعزيز. (٢٠١٦). التداولية وتحليل الخطاب الجدلي (قراءات تحليلية في أسس الحجاج وبناء الاستدلال). (الطبعة الأولى). الأردن: عالم الكتب الحديث.

العمري، محمد. (٢٠٠٢). في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجًا). (الطبعة الثانية). الدار البيضاء وبيروت: أفريقيا الشرق.

الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد. (٢٠٠٢). البحر المديد. (الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.

فاهم، سعيد. (٢٠١١). معاني الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة: السور السبع الطوال أنموذجًا (دراسة دلالية معجمية). رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري– تيزي وزو.

الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب. (٢٠٠٨). القاموس المحيط. [راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد]. القاهرة: دار الحديث.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. (٢٠٠٣). الجامع لأحكام القرآن. [تحقيق: هشام سمير البخاري]. (د. ط). الرياض: دار عالم الكتب.

قطب، سيد. (٢٠٠٣). في ظلال القرآن. (الطبعة الثانية والثلاثون). القاهرة: دار الشروق.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد. (٢٠٠٥). تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). [تحقيق: مجدي باسلوم]. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

محفوظي، سليمة. (٢٠١٧). الحجاج في رسائل الجاحظ (دراسة تداولية حجاجية). أطروحة دكتوراه. جامعة باتنة١.

محمدي، زهية. (٢٠١٩). البنية الحجاجية في (المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن عبدالرحمن الديسي). رسالة ماجستير. كلية الآداب واللغات. جامعة محمد بوضياف بالمسيلة. الجزائر.

مكناسي، صفية. (٢٠١٧). مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري (الشيخ محمد البشير الإبراهيمي) مقاربة توصيفية لآليات الإقناع. (د.ط). الجزائر: دار غيداء للنشر والتوزيع.

المناوي، محمد عبدالرؤوف. (١٤١٠). التوقيف على مهمات التعاريف. [تحقيق: محمد رضوان الداية]. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الفكر.

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. (١٩٩٦). البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. (الطبعة الأولى). دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية.

نجيب، محمد سمير. (٢٩٨٥). معجم المصطلحات النحوية والصرفية. (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة.

نذير، حمدان. (١٩٩١). الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم. (د.ط). القاهرة: دار المنارة.

الياسري، عبدالكاظم محسن؛ وعباس، لمياء شهيد. (٢٠٢٠). أثر الآليات البلاغية الحجاجية في تنوع الأنماط الفكرية لمفهوم القوة في القرآن الكريم. ***مجلة مركز دراسات الكوفة***. العدد(٥٧). ٦٣-٨٦.

يوسف، عبدالكريم محمود. (٢٠٠٠). أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه- إعرابه). (الطبعة الأولى). دمشق: مطبعة الشام.

يوسف، عدنان. (٢٠١٨). أسلوب القسم في اللغة العربية نحويًّا. مجلة كلية الإلهيات. العدد(١٢). ٢٠١-٢١٦.